الإسلام دين الإنسانية (*)

الإسلام هو دين الإنسانية بأرقى معانيها ، فهو الدين الذي جاء ليعلي قيمة الإنسان بين سائر المخلوقات ، ويتجلى هذا في اهتمام الإسلام بما يحفظ للإنسان كرامته ويسمو بروحه ، كما امتاز الإسلام بين سائر الأديان بالعديد من مظاهر تكريم الإنسان والمحافظة عليه ، ومن ذلك :

(١) **تهيئة الكون لاستقبال الإنسان قبل خلقه** : فقد هيأ الله الكون كله لاستقبال الإنسان ، فرفع السماء وبسط الأرض وأجرى الأنهار وأنبت الزرع والثمار وسخر الشمس والقمر والنجوم ؛ ليهنأ الإنسان وينعم بكل ما هيأه الله له من أسباب الحياة ، قال تعالى: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ

*) د/ محمد عبد الحميد خطاب – باحث بالإدارة العامة للإرشاد الديني .

الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}[إبراهيم:٣٢- ٣٤].

(٢) **تكريم الله للإنسان بالنفخ فيه من روحه** : وتلك أعلى مظاهر تكريم الله للإنسان وأعلى مراقي إنسانيته وآدميته وسيادته على هذا الكون بأن نفخ الله فيه الروح وهي من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله رب العالمين ، قال تعالى:{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ}[ص: ٧١- ٧٢] . وقال تعالى:{وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً}[الْإِسْرَاء: ٨٥].

وتكريماً لهذه الروح حرم الإسلام القتل بغير حق والاعتداء على النفس البشرية لأنه اعتداء على خلق الله ومخالفة لأمره ، قال تعالى : {...وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ.....}[الأنعام:١٥١] ، كما نهى الإسلام عن

الإفساد في الأرض والبغي بغير الحق وترويع الآمنين ، قال تعالى:{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}[الأعراف: ٣٣] ، وقال عز وجل:{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيل أَنَّهُ مَنْ قَتَل نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَل النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}[المائدة:٣٢] .

كما حرم الإسلام على المسلم أن يقتل أخاه المسلم ، فقال تعالى:{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}[النساء: ٩٣] ، وهذه الآيات بما تحويه من تشريعات إنما تهدف إلى الحفاظ على الإنسان باعتباره المخلوق الذي كرمه الله عز وجل ، قال تعالى:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}[الإسراء:٧٠].

(٣) **تعهد الله الإنسانية بإرسال الرسل وإنزال الكتب ومنها القرآن الكريم**: فقد تعهد الله الإنسانية على مرِّ العصور بإرسال الرسل وإنزال الكتب ليهتدي الناس إلى صراط الله المستقيم ، وليعلموا شرع الله ومنهاجه الذي يضمن لهم الهداية والإرشاد ، والذي يأخذ بأيديهم من الغي إلى الرشاد ، ومن الضلال إلى الهدى ، ومن الظلمات إلى النور ، ومن الكفر إلى الإيمان ، قال تعالى:{رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}[النساء:١٦٥]، وقال سبحانه:{..وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ}[فاطر:٢٤] ، وقال تعالى:{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ}[الشورى:١٣] .

وقد تضمنت آيات القرآن الكريم ما يحقق الكرامة

للنفس الإنسانية ، والارتقاء بالسلوك الإنساني من خلال ما تضمنته من تشريعات وتوجيهات وحكم ومواعظ وقصص تهدي الإنسان إلي صراط الله المستقيم .

(٤) **محافظة الإسلام على حقوق الإنسان** :

فقد وضع الإسلام من المبادئ والتشريعات ما يضمن الحفاظ على كل الحقوق المادية والمعنوية التي من شأنها الارتقاء بالإنسان وتكريمه، ويتجلى ذلك في المحافظة على الحقوق التي تضمن له الكرامة الإنسانية ، ومنها :

حرية الاعتقاد :

فقد ضمن الإسلام للناس كافّةً حرية الاعتقاد وحرية الاختيار بين الإيمان والكفر ، فلم يكره أحدًا على الدخول فيه ، قال تعالى : {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ...}[البقرة: ٢٥٦] ، وقال سبحانه وتعالى : {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [يونس: ٩٩] ، وهذه الآيات وغيرها

كافية في الرد على كل الافتراءات والمفاهيم المغلوطة عن سماحة هذا الدين واحترامه لحرية الإنسان واختياره.

الأخوة الإنسانية

لفت القرآن الكريم أنظار الناس إلى أنهم جميعًا إخوة في الإنسانية ، فهم جميعًا أبناء آدم وحواء ، قال تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[الحجرات: ١٣]. فقد دلَّت الآية الكريمة على أن الله خلق الناس ليتعارفوا ويتآلفوا ، ومن هنا كانت دعوة الإسلام إلى التعايش السلمي بين البشر وقبول المسلم لغيره مهما اختلف الدين، قال تعالى:{لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[الممتحنة: ٨] .

ونبينا (صلى الله عليه وسلم) حين قدم المدينة وجد بها بعض الطوائف من اليهود فعاملهم (صلى الله عليه وسلم)

أفضل معاملة ، بل إنه (صلى الله عليه وسلم) قد عقد مع اليهود معاهدة للحفاظ على المدينة من شر الغاصبين باعتبارها الوطن الذي يعيش فيه الجميع ، ومما جاء فيها : (أنه من تبع المسلمين من اليهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم ، وما جرى مع يهود بنى عوف يجرى مع بقية قبائل الأنصار) ، وتعد هذه المعاهدة أول دستور مدني في التاريخ حافظ على معاني المواطنة ، والأخوة الإنسانية.

كذلك نجد في استقباله (صلى الله عليه وسلم) لوفد نصارى نجران في مسجده ، وإكرامه (صلى الله عليه وسلم) لهم دلالة واضحة على قبول الآخر واحترام معتقده والتعايش السلمي معه وهذا جانب عظيم من سماحة الإسلام ونبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم).

مراعاة المشاعر الإنسانية :

فقد راعى الإسلام المشاعر الإنسانية والوفاء لصاحب المعروف وإن اختلف الدين والمعتقد ، فهذه أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) قدمت عليها أمها وهي راغبة في أن تصلها، فاستأذنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في صلتها ، حيث قالت: قَدِمَت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدهم فاستفتيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقلت يا رسول الله ، قدمت عليَّ أمي وهي راغبة أفأصل أمي ؟ قال : (نعم صلي أمك) (متفق عليه).

كذلك راعى الإسلام مشاعر الأمومة عند المرأة فأوجد لها حق حضانة الطفل عند طلاقها وهذا واضح من قوله(صلى الله عليه وسلم) للمرأة التي جاءت تسأله عن ذلك فقال: (أنت أحق به ما لم تنكحي) ، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ بَطْنِي لَهُ وِعَاءً ، وَثَدْيِي لَهُ

سِقَاءً ، وَحِجْرِي لَهُ حِوَاءً ، وَإِنَّ أَبَاهُ طَلَّقَنِي ، وَأَرَادَ أَنْ يَنْتَزِعَهُ مِنِّي ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ مَا لَمْ تَنْكِحِي) (رواه أبو داود) .

كذلك أمر الإسلام أتباعه بمراعاة حق الجوار وإكرام الضيف ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وترك الشماتة بالأعداء ، وكلها أمور تحث على مراعاة المشاعر الإنسانية ومكارم الأخلاق التي دعا إليها رسول الإنسانية (صلى الله عليه وسلم) الذي قال عن نفسه : (إنما بُعثتُ لأتَممَ مَكارِمَ الأخلاق) (رواه البخاري في الأدب المفرد).

المحافظة على حرمة الإنسان حيًّا وميتًا :

فقد بينت الشريعة أن جسد الإنسان أمانةٌ لديهِ من الله تعالى، ومطلوب من الإنسان أن يحافظ عليها ، مصداقًا لقوله تعالى: {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا}[الإسراء: ٣٦] ، كذلك راعت الشريعة الإسلامية حرمة جسد الإنسان بعد مماته فحرَّمت العبث به بعد وفاة

صاحبه ونهت عن التمثيل بجثث الموتى ، ولو كانوا غير مسلمين ، في إشارة إلى إعلاء قيمة الإنسان ومراعاة احترام آدميته حيًّا وميتًا ، فحرمة الميت بعد موته باقية كما كانت في حياته ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (كسر عظم الميت ككسر ه حيًّا) (سنن أبي داود) ، وعلى هذا فلا يجوز التمثيل بجثة الميت أو التعرض لها بأي نوع من أنواع الأذى .

وهناك الكثير من الأمثلة والنماذج التي تدل على أن الإسلام دين الإنسانية ، جاء ليرتقي بالإنسان جسدًا وروحًا ، ويلبي كل متطلباته وفق نظام محكم ودقيق يتسم بالفضائل وينأى عن الرذائل ، وهذا ما يؤيده الواقع في كل زمان ومكان من أن القيم الإسلامية الرفيعة إنما هي القوى الذاتية والدافعة لقبول هذا الدين ؛ لأنه الدين الذي يوافق فطرة الإنسان النقية ويتفق مع عقله الراجح ويغذي مطالب الروح ويسمو بالإنسان إلى مراقي العلا والفلاح .